آزاد

الملتقى للنشر و التوزيع

إسم الكتاب : آزاد

إسم المؤلف : سوزان العبود

رقم الإيداع بدار الكتب :32021/8619

ISBN : 978-977-858-86-6-8

• • جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للدار

ولا يجوز نقل او إقتباس أو إختزال أي جزء من الكتاب دون الرجوع إلى الناشر و الحصول على إذن خطي مسبق منه.

•• تنويه: المحتوى الأدبي هو مسئولية الكاتب بالكامل.

الملتقى للنشر والتوزيع: 9 مكرر شارع ترعة الجبل ، برج سكر ، حدائق القبة ، القاهرة – مصر.

رئيس مجلس الإدارة :

حسام عزام

Moltaqapublishing@gmail.com

Tel: +20 109 901 6240

آزاد

مجموعة قصصية

سوزان العبود

الإهداء

"غيمتي الماطرة "

نزلت درج المنزل كانت عمتي تتبعني بخطوات سريعة وهي تضحك قائلة:

– والله ونزلت كندرتك عن الرف*.

ثم تابعت:

– صار لديك أخت صغيرة الآن لن تعودي مدللة والدك.

لم أفهم وقتها معنى كلامها كل ما كنت أعرفه أني كنت ممتعضة لأني استيقظت ليلاً ووجدت عمتي غافية بقربي بحثت عن أمي ولم أجدها.

في الصباح ألبستني ثيابي وأخذتني لألتقي بك لأول مرة.

تسمرت على باب غرفة أمي في المشفى، غصة في حلقي ورغبة بالبكاء اجتاحتني بعد أن وقعت عيناي على أمي وهي تحتضن رضيعاً صغيراً عندها رفضت الدخول.

تقدم والدي بخطوات ثابتة وابتسامة مشرقة، مد يده فأمسكتها وتقدمنا بهدوء إلى سرير أمي.

وقفت أمامك..، ابتسمت أمي وقربتك من وجهي، ثم أزاحت الغطاء الزهري قليلاً عن وجهك قائلة:

– هذه ديمة* أختك.

في تلك اللحظة نورك الساطع أَنار حياتي.

*** مثل سوري عامي، ويقصد به خسر منزلته.**

*** دَيمة: (اسم).**

الجمع: دِيمات ودِيَم.

الدَّيمةُ: المطر الذي ليسَ فيه رعدٌ ولا برقٌ، أي المطر الذي يسقط في سكون، أو الغيمة السكوب (الغيمة الماطرة).

والجمع: دِيَمٌ.

الدَّيمةُ: دائم غير مقطوع.

(معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي).

وعَن "الديمة" يقول الشاعر أبوتمام:

ديمة سمحة القياد سكوب

مستغيث بها الثرى المكروب

فهي ماء يجري وماء يليه

وغزال تهمي وأخرى تذوب.

شكر و تقدير

- إلى والدي.. وطني الوحيد.

- إلى وسيم ابق بخير.

- لم أؤمن يوماً بالخل الوفي حتى ظهرت أنت، شكراً الصديق النحات محمد عبد الهادي.

المقدمة

سوزان العبود..، تنحت أوجاع الوطن..، والإنسان في فضاءات الغربة، والحرية..

تأخذ القصص القصيرة أهميتها كجنس أدبي من خلال شكلها ومضمونها، وذلك لقدرتها على تعرية الحياة ومنحها واقعاً جديداً، كما أنها تسعى دوماً إلى كشف حقيقة الإنسان.. أعماله، أفعاله، وأفكاره، والإحاطة بتصرفاته.

تأتي قصص هذه المجموعة وكأنها تؤسس لمشروع إبداعي، تشترك فيها بنزعة فنية تشكيلية ومنهجية أدبية واقعية حالمة تعتمد الواقع المرير الذي تعيشه بلادها، في أتون حرب دمرت البنى العمرانية والجمالية،وأحرقت أخضرها قبل يابسها،و قتلت إنسانها البسيط وشردته، وألقته في بلاد باردة، فهي بشخوصها وحواراتها تدخل دوماً في حالات تنافر وصراع مع نفسها ومع القارئ ،فهناك لحظات حيرة وقلق وعدم استقرار، فالحركة والتنقل وتغير الأماكن وتبدل البيئات، حيث مدن كثيرة وأحداث كبيرة، لكن حرب واحدة نيرانها ودخانها لا ينفك عن سماء أغلب قصص المجموعة، الأبطال مهمشون، ينسحبون بكسل، أو يقاومون، كأنهم رجال تحت ظهيرة شمس بلدها المتعب من آثار حرب لا زالت تستعر و تشتعل، "فلا شيء قاس و قاتل للإنسان مثل الحب و الحرب " هكذا تخبرنا الكاتبة وبكل عمق عما فعلت "الحياة" السورية بإنسانها وشجرها وبخورها وبياسمينها، وبحاراتها، ولاشك أن ممارسة الكاتبة سوزان العبود للفن التشكيلي إلى جانب اشتغالها على الأدب واضح، فهي تستحضر لحظات عبور سابقة، وتثير زخماً من التساؤلات، وتقلق راحة القارئ، حيث تقدم ألواناً سردية تتجاوز الشكل الفني للقصة، وأحياناً تغوص في عوالم قصصها في قوالب تمتلك هيئة النحت أو إضافة كتل إلى كتل أكثر تماسكاً، فتجعل من اليومي فكرة وصورة،

وتلونه بخلفية كتابية منفتحة على الكائنات والوجود، تحاول الابتعاد عن العنفوان الشعري، أو الصياغة الأدبية، باختراقات لغوية تمتلك كثافة خاصة للعبور من نفق طويل مظلم لا تجد له نهاية..، قطار أسود بارد يحمل كتل بشرية، إنها الحياة في بلدها، وحال المنفي في صقيع بلاد الشمال الأوربي البارد.

كثيرة هي اللحظات التي تستحضر لنا أرواحاً وأقاويل عن البلاد، تكاد تكون مفردات مثل العبور ..، النفق ..، السجن..، وحدة وطنية..، أزاد (الحرية) الطيور، الحرب، الغربة..، و أغلب قصص المجموعة تتكثف لتصل إلى بضعة سطور، ربما لا تقيد واضح بالشكل الفني، لكنها تطرح ظلال شخصيات تشبه وتتماثل في الذاكرة لا زالت تعيش معنا في أشكال ورؤى أخرى مختلفة، إلى جانب قصص تأخذ أبعاداً رؤيوية، و بنية سرد استثنائية عبر تجربة خاصة من التساؤل والقراءة والتأويل، فهي أحيانا تمارس لعبة الخفاء، فتتدحرج مع "همبتي دمبتي" على جدار عال، وطويل وكأنه لانهاية له، فننتقل إلى عالم العجائب في بلد سورته..، الحرب..، القتل.. ،والذبح بالسواطير الباردة، وتلجأ إلى الحب كتعويذة أو تيمة تحملها قصص المجموعة..، فالطريق إلى الجمال إلى سمو موسيقى العالم ولغته المدهشة عبر الطريق إلى أسكودار، و كأنه نص يبحث عن هوية الحب في زمن الحرب، هوية مكان في زمن الهجرة و النفي..، وتكمن الحقيقة في طيبة وبراءة القلب، فتفصح بأن أجمل الحقائق هي التي يعبر بها الأطفال عنها للدلالة على الصدق في زمن الخداع والزيف، هناك ولا شك روح الكاتبة في معظم القصص، التي تشكل بؤرة وعيها الفردي، الجمعي، حيث الحضور الكثيف لذات الكاتبة التي تعاني من التشظي، فلغة الانشقاق والانفصال، ولغة التواصل والاتصال، لا تبتعد عن روح نصوصها فكتاباتها تمتلك فتنة فنية وبهاء، ورشاقة لغوية مغايرة ومستفزة أحيانا، حيث تمتلك جرأة في تجريب أنماط متعددة لكتابة القصة، تمنح بعض قصصها التكامل والترابط، في وحدة دلالية، متلازمة لإتمام الحدث أو

القصة دون السقوط في حالة تفسير وتحليل أو ممارسة إضافات لاجدوى لها أو منها، وإنما تعمد للتكثيف للتعبير عمقاً واتساعاً عن الحياة والإنسان

ولكون الكاتبة سوزان العبود فنانة تصويرية، ونحاتة فإن ما اتصفت به من براعة في الرسم أو النحت استطاعت به تقديم أنماطا بشرية و لقطات خاطفة عن الطبيعة الحياتية للبشر الذين يعيشون في دائرة صراع مع الزمن الهادىء في بلاد الغربة، وزمن صعب أو زمن الموت في بلادها، وتنجح في منح قارئها مفاتيح النص..، وهو شيء هام وجوهري لأنه ليس من السهولة أن يلجأ أي إنسان لكتابة حكايات شاهدها أو سمع بها أو استلهمها من خيال عميق مواز لواقع قاس وحاف، فلا يمكن بناء قصة من كلمات متناثرة بحجة حداثة الأسلوب، ولا يمكنها ان تستهوي القاريء إن لم توفر له كامل أسباب السرد ، والفكرة لذلك حاولت الكاتبة أن تنحى نحو السوريالية في بعض قصصها التي مزجتها بالحلم أو الخيال، وذلك باختيار العناصر العجائبية، و ذلك ليس كعجز عن مواكبة واقعية الأحداث ورصدها بلغة تقريرية، وإنما لجعله عنصرا يحقق تكامليته مع باقي عناصر القصة لتشكل لوحة سردية واحدة في خلق صراع يجذب القاريء إلى فضاءات تنمو وتتفاعل في نسق وانتظام، حيث العجائبي والواقعي يمتزجان، ويتحولان إلى طاقة أو قدرة تعبيرية تمتلك الإبداع لتمنحنا نصوصا تمتلك نكهتها المميزة تتأسس على مفهومي المفاجأة والدهشة، مع إضافة طابع ليس الواقعية فقط، وإنما الجدية على كتاباتها دون أن تنزلق في متاهات الغموض التي لا تتناسب وبنية نصوصها القصصية، فهي تحاول دائما عبر لغة قادرة على إمتاع القارئ و منحه "لذة النص " من خلال حكايات مشوقة يمتزج فيها الحلم بالواقع، والسوريالية بالمتخيل لتأخذ أبعاداً رمزية واضحة تمتلك التوافق الحركي مابين حركة الذاكرة للوصول إلى بؤرة درامية شيقة حسب مفهوم اللذة القرائية.

الكاتبة سوزان العبود وفي رسمها لتفاصيل السجن ولعناق الضوء مع العتمة والظلال التي كان يرسمها حركة الطير فتنعكس على جدران الزنزانة الكئيبة تدل على مقدرة وذاكرة إبداعية ليس في مجال السرد الروائي وإنما تتمتع بذاكرة فنية ولونية فتوظف خبرتها الفنية في رسم لوحات إنسانية عبر الكلمات وبمقدرة إبداعية عالية..،

أخيرا...

اختيارها للإسم الذي أطلقه أحد أبطال قصصها على رفيقه الطائر (أزاد) عنواناً للعمل، بل وعنواناً لمجموعتها القصصية، ذلك يحمل في مضمونه أهمية العنونة، الذي يشكل مدخلاً واستهلالاً لنوعية القصص ضمن المجموعة فقضية الإنسان الأبدية، والكبرى.. قضية الإنسان الحر، والعالم الواسع كفضاء بهي ونقي والانطلاق دون سياج..، دون حدود..، دون زنزانات..، ودون قيود..، نحو الأفق..، نحو الخلاص والحرية..

عبدالوهاب بيراني

سوريا

9/9/2020

بس خلاص

رن منبهه الخلوي تحديداً الساعة السابعة إلا ربع..، قبل ربع ساعة من الوقت المحدد لبدء التحضير ليوم جديد، وقبل أن يغسل وجهه أغلق المنبه، فتح موقع الفيس بوك يطالع الرسائل وآخر الأخبار، اتسعت عيناه عندما بدأ بقراءة أول بوست ظهر على الصفحة الزرقاء الخبر يقول:

"تناولت صحف مصرية وعربية حالات الإنتحار في مصر، والتي بلغت ثلاث حالات في أقل من 48 ساعة، إذ قام شاب بإلقاء نفسه من برج القاهرة، ورمى آخر بنفسه تحت عجلات مترو الأنفاق، بينما ألقى ثالث بنفسه في ترعة الإبراهيمية في أسيوط."

همس قائلاً :

" –في أقل من 48 ساعة "أخذ ثلاثة أشخاص القرار بأن لا شيئ في الحياة يستحق أن يعاش.

عائداً إلى لا مبالاته، تابع تحريك الشاشة لتظهر صورة فنانة مشهورة قد خلعت حجابها والنص تحت الخبر يقول:

"تصدرت الفنانة (فلانة) منصات التواصل الاجتماعي بعد ساعات من إعلانها خلع الحجاب، ليدخل (وسم) بإسمها ضمن القائمة الأعلى تداولاً على موقع تويتر"، في تلك اللحظة بالذات طنت في أُذنيه أصوات الطائرات الحربية تقصف قريته الصغيرة، تذكر كيف ارتمت أمامه جثث الأطفال الصغار من أقربائه وأولاد الجيران الذين كانوا يتقافزون فرحين حوله قبل يوم واحد في الشارع، أطفال لم يسمع عنهم أحد ولم ينالوا" وسماً "ضمن القائمة الأعلى تداولاً على مواقع الإنترنت، ما" أتفه هذا الكوكب "كانت العبارة التي همس بها بينه وبين نفسه

متابعاً إبهامه الحركة على الشاشة ليقرأ البوست المباشر الذي بعده، الخبر لا يقل سوداوية عن الخبر الأول:

"لقي لاجئ سوري حتفه اليوم الخميس في العاصمة الألمانية برلين بظروف غامضة، وقالت مصادر مطلعة إنَّ السلطات الأمنية الألمانية عثرت على جثة اللاجئ ملقاة في حديقة مخيم اللاجئين، وأضافت أنَّه لم يكن يعاني من أي حالة اكتئاب أو عوارض لميول انتحارية ."

أضحكه الخبر على الرغم من أنه مؤلم، فهو أيضاً اللاجىء القابع في الكامب الهارب من الحرب، المنتظر منذ سنة ونصف مصيره المجهول، ابتسم ابتسامة عريضة حتى بانت نواجذه لحظة قراءته جملة" لم يكن يعاني من أي ميول انتحارية ."

تابع تحريك إبهامه على الشاشة وتوقف عند منشور لأحد أصدقائه من زملاء المهنة وهو فنان عراقي نشر صورة عمل جميل بالألوان الزيتية معنون:

"وجه لشاب عراقي قتل اليوم في المظاهرات ."

العمل عبارة عن ملامح باقية من وجه شاب والأسى يسيطر عليها، رغم إعجابه الشديد بالعمل الفني لم يضغط على أي من الخيارات المتواجدة:

(لايك ، أحببته ، أحزنني ، أغضبني) ، فقط تابع التصفح لتظهر أمامه صورة لثلاث قطع من فاكهة الموز كل قطعة معلقة على الحائط بلاصق رمادي، وأسفلها نقطة حمراء تَدل أن العمل مباع، أما المقال فمعنون:

– العمل الفني" موزة مثبتة على الحائط"، بيعت بمبلغ" 120 ألف دولار ."

بيعت نسختان من عمل فني عبارة عن قطعة موز مثبتة على الحائط، بمبلغ" 120 ألف دولار"، ويقول المنظمون أن العمل الفني بيع لقاء" 120 ألف دولار "للنسخة الأولى والثانية، فيما تم رفع سعر النسخة الثالثة لنحو" 150 ألف دولار ."

للحظات نظر إلى أعماله الفنية المعلقة على الحائط، والتي هي نتاج.. الحرب، الألم، الفقدان، واللجوء، ثم نظر إلى الجهة المقابلة لسريره، كانت موزة مستلقية بدلال على الطاولة قشرها وقضمها بهدوء..، تابع ليتعثر بصديق كان يرثي الفنان الشعبي شعبولا كاتباً:

" –لا تجوز على الميت إلا الرحمة ."

المنشور مرفق بصورة لشعبولا بثيابه المزركشة متعددة الألوان وساعات كثيرة تزين يديه، فيديو لإحدى أغاني شعبولا كان مرفقاً بالبوست ففتحه ليسمع الأغنية.

مقدم مشهور بدأ تقديم الفنان بالكلمات التالية:

" –الحاجة الغالية غالية وبيليه دماغه عالية..، جاله عقد في الكويت خد تاكسي وراح إيطاليا.

نقدم الفنان الكبير ملك الغناء في مصر والعالم العربي.. شعبولاااااا.

بعدها تَصفيقٌ حار علا في المكان، وتقدم شعبولا بصوته الأجش:

حبطل السجاير وأكون إنسان جديد

ومن أول يناير خلاص حشيل حديد

هيييييي هيييييي

"وأقول على الباشا باشا، والنَّدل أقولو يااااه، والنَّدل أقولو يااااه.. وهيييييي ."

أشعل سيجارة باليد اليمنى وباليسرى استقر الخلوي يصدح بالأغنية، وبلا شعور كَالمُخَدَر رفع يديه واقفاً على السرير يحركهما يمنةً ويسرة مع اللحن ويهز خصره كلما صَدحَ شعبولا ب هيييي هيييي هيييي..، وظل يتلوى راقصاً، حتى سقط مغشياً عليه عندما خَتَم شعبولا أغنيته بالجملة الشهيرة التي ينهي فيها بحَزم أغلب أغانيه، الجملة التي اختصرت أحداث "القرن:"

"بس خلاص."

ذاهباً إلى اسكودار

الغيم يحاصر كل زاوية من السماء في مدينة المغترب مانعاً أي نور أن يضيء العتمة، في وسط هذا الغرق علت دندنة موسيقى أغنية يعرفها جيداً، وكلما كان يقترب خطوة كانت الموسيقى تعلو وتعلو لتخترق زاوية تقبع فيها خيبة طفل.

اللحن الذي لم يكن يعرف له اسماً والذي كان عازفاً محترفاً يعزفه على زاوية الطريق، أعاده إلى مدرسته الإبتدائية، بالتحديد إلى حصة الموسيقى المنفذ الوحيد للروح خارج عالمه الضيق، وتذكر أستاذ الموسيقى القاسي صاحب الصوت الجهوري يصيح بالطلاب:

" –إذا أحسنتم التصرف خلال الدروس القادمة، سأسمح لكم مشاركة الجوقة الموسيقية للصف السادس."

وتابع إعطاء بعض التعليمات وعزف بعض الألحان البسيطة، مكرراً وعده بأنه وخلال شهرين سيشارك كل طلاب الصف العزف بالآلات الموسيقية مع الجوقة الناشئة للصفوف العليا.

في اليوم التالي، وفي حصة الرياضيات غاب تركيزه فجأة بعدما سمع لحن أغنية يصدح من الصف المجاور، ففقد إصغاءه للرياضيات وحساباتها، ولهذا العالم الجامد، داخلاً في عالم عجيب آخر حملته إليه ألحان تلك المعزوفة التي لم يكن يعرف لها اسماً، لكنها تشربت ذاكرته وحنايا روحه.

تتالت الأسابيع بعدها، وفي كل درس موسيقى للصف المجاور، كان الأستاذ يعيد تدريب طلابه على نفس اللحن الساحر.

أما هو الطفل الصغير نحيل الجسد ذو العشرة أعوام، كان يترك جسده ملتصقاً بالمقعد ويطلق العنان لروحه لتحلق بعيداً في فضاء آخر بعيداً عن الواجبات، الدروس، وكل الأشياء التي أرغم على القيام بها.

بعد فترة وجيزة، وفي درس الموسيقى حصل ما لم يكن يحلم به، فقد وعد أستاذ الموسيقى طلابه بتعليمهم المعزوفه نفسها التي يدرسها للصف السادس، أدرك مباشرة أنها معزوفته المحببة القادرة على أخذه إلى عوالم سحرية، وبفرحة طفل صار يعد الأيام ووعود الأستاذ المقترنة بتصرف الطلاب الجيد تزداد .

بعد عدة أسابيع وبشكل مفاجئ دخل أستاذ الموسيقى مع عدة أطفال تعلو وجوههم الإبتسامات محملين بآلاتهم الموسيقية، وفي غمرة الفرح الطفولي بدأ الأطفال بإصدار ضجيج تتخلله ضحكاتهم المرحة، فجأة علا صوت الأستاذ على صوت الضحكات مطالباً طلابه بالهدوء، لكن نداءه ذهب هباء منثورا فاستشاط غضباً وبدأ بالصراخ والتهديد:

" –قسماً بالله إن لم تصمتوا سألغي الدرس ."

لكن فرحة الأطفال لا يمكن كتمها بالصراخ والغضب الذي لم يحملوهما على محمل الجد، وبعناد شديد وقف الأستاذ كجبل وهو يرعد ويزبد شامخاً منتقماً من كل شيء، وبكلمتين ألغى الدرس وأخرج أطفال الجوقة الموسيقية بهدوء، عندها فقط صمت الأطفال صمتاً مروعاً.

شيء ما سقط من عالمه الجميل إلى أرض الواقع، الحلم الذي طالما انتظر أن يعيشه انتهى بقرار تعسفي من السلطة العليا بالصف.

كانت هذه أول خيبة قد عايشها في الحياة..، ستتوالى بعدها الخيبات لترمي به لاجئاً في مدينة ضبابية معتمة يحاصرها الغيم، ليجد نفسه يقترب من مصدر خيبته الأولى المعزوفة التي لم يعرف لها طوال حياته عنواناً، وبهدوء تقدم نحو العازف، وانتظره بشغف حتى أنهى مقطوعته، ثم سأله بصوت هادئ منخفض:

– ما اسم هذه المعزوفة؟

أجابه العازف الشبيه بالمسيح بعينين ضاحكتين وابتسامة لطيفة شاكراً اهتمامه:

–ذهاباً إلى إسكودار.

وبقلب فرح مبصر لنور قريب، أخرج كل ما امتلك في جيوبه من مال ووضعه بلطف في علبة معدنية كانت موضوعة أمام الفنان، وتابع مشيه مبتسماً يدندن:

"ذهباً إلى اسكودار*..، ذهاباً إلى اسكودار"

***أغنية شعبية تركية، "Üsküdar'a Gider İken"،**

"و انا ذاهبة الى اسكودار ":

هي قصة إمرأة تمشي مع كاتب تحبه تحت زخات المطر متجهين نحو اسكودار "وهي منطقة في الجزء الآسيوي من اسطنبول".

الأغنية مغناة بعدة لغات منها العربية (غزالة غزالة)، وعدة أغاني أخرى.

أشهر إصدار للأغنية يعود للعام 1949 للمطربة صفية إيلا (Safiye Ayla).

الميلاد

التف الناس حول شجرة الميلاد الضخمة في العاصمة المنكوبة المعتمة هرجٌ ومرجٌ سادا المكان الجميع كان مبتسماً مدعياً السعادة.

العَّد التنازلي بدأ لتضيء الشجرة على أجزاء مع توالي العَّد.. 5.. 4.. 3.. 2 .. 1..، عندما انتهى العَّد نجمة كبيرة في أعلى الشجرة توهجت، استمر البشر بإصدار أصوات تَنم عن الفرح لفترة وجيزة، ارتبطت بتوقف عدسات الكاميرات عن التصوير ثم صمت رهيب سادَ المكان، وذهب كل في اتجاه، عدا طفل صغير كان يقف مرتجفًا في زاوية بعيدةٍ محدقًا بالإشعاع الساطع القادم من شجرة الميلاد، لم يستطع الصغير مقاومة ذلك الوهج المنبعث منها، فالنور مرتبط في ذهنه بالدفء والحنان، البرد كان قارصاً والوحدة قاتلة، فبدأ يقترب بخطوات متثاقلة، وكلما تقدم ازدادت الشجرة ضخامةً وهيبةً، وزاد إغراء الاقتراب واللمس، في كل خطوة يتقدمها كانت الإضاءة تزيد من الغشاوة على عينيه، وحرارة النور المنبعثة تدفئ جسده الصغير، حتى أصبح قبالتها تماماً كنجمٍ في كون فسيح، فجسده الهزيل المنحني كان لا يقارن بعلوها وشموخها، نظر بدهشة للأعلى عندما لمعت كرة كبيرة حمراء للزينة، وبلا وعي مد يديه الصغيرتين لقطفها فالجوع أوهمه أنها تفاحة ناضجة، محركاً كرة الزينة يمنةً ويسرةً محاولاً اقتلاعها لمست أصابعه الصغيرة أسلاك كهربائية خطرة، تيار سرى من أصابعه إلى كل جزء من أجزاء الجسد الغض، صوت فرقعة علا في المكان، انطفأت إنارة الشجرة كاملة، ونجم صغير هوى في الكون الفسيح.

الدرويش

جلس" الدرويش "كما اعتاد أهل القرية أن ينادوه تحت أشعة الشمس اللطيفة، ثم نادى أمه:

– أمي.. أمي..، أريد أن أستحم.

– انتظر يا قلبي سأحضر لك الطشت وأغلي الماء.

كان ردها سريعاً، ولهفتها واضحة لعمل أي شيء يطلبه ابنها الوحيد" الدرويش ."

وبسرعة أحضرت الطشت وسخنت الماء في القدر الكبير، فغسل نفسه منتعشاً حَدَ السُكر، أَنهى حمامه وناداها:

– أمي.. أمي..

– نعم يا قلبي.

– أريد أن أشرب شاياً ساخناً.

بثواني وضعت الماء على النار وجهزت له كوباً من الشاي المعطر بالنعناع، فجلس يتشمس ويشرب الشاي بمتعة، ثم نظر في عينيها، وبصوت هاديء مطمئن مترجي نادى الله:

– يا الله..، أَتمنى سماع أغنية ل"صباح "الآن في الراديو وأموت بعدها.

بحركة سريعة وعفوية أدارت أمه جهاز الراديو القديم، وبالصدفة صَدح صوت" صباح "يغني: عالبساطة البساطة..، يا عيني عالباساطة..

بإبتسامة راضية أرجع رأسه للخلف رافعاً عينيه للأعلى، وأَسلمَ الروح محققاً أمنيته الأخيرة.

التفقد

دخل الأستاذ إلى الصف بخطوات متباطئة، وضع الكتب بهدوء على الطاولة، وكعادته القسرية بدأ بتنظيمها جنباً الى جنب حسب ترتيب أحجامها، ثم بدأ بترتيب الطباشير التي كان بعضها متآكلاً والأخرى لم تستخدم بعد، وعلى الرغم أنه لن يستعمل سوى طبشورة واحدة، إلا أنه قام بصفها كلها الواحدة تلو الأخرى حسب الطول في مجموعتين المجموعة الأولى الطباشير البيض والمجموعة الثانية الملونة.

بعد أن انهى مهمته اليومية نظر الى الطلاب، وخاطبهم بحزم:

– قيام

فوقف جميع الطلاب، استمر ينظر اليهم واحداً تلو الآخر لدقيقتين متتاليتين، بعضهم كان يرتجف لأن المدفأة كانت خالية من الوقود، وبعضهم وقف ساكناً خائفاً من ردة فعل الأستاذ لو آتى بأية حركة، فرك الأستاذ يديه ونفخ فيهما فخرج دخان أبيض، ثم خاطبهم ثانية:

– جلوس.

فتح دفتر التفقد اليومي، وبدأ بقراءة أسماء الطلاب واحداً تلو الآخر:

– فلان.

فوقف الطالب باستعداد قائلاً:

– حاضر أُستاذ.

رمقه بنظرةٍ سريعةٍ..، ثم تَمْتَمَ بصوت شبه مسموع، لنرى إن كنت حافظاً لدرسكَ اليوم، وتابع قراءة أسماء الطلاب:

– أحمد

– حاضر

- محمد

- غائب

- فادي

- غائب

هكذا دواليك حتى مرت ربع ساعة كاملة من الوقت المخصص للدرس، انهى خلالها التفقد، ثم من تحت نظارته الطبية المستريحة بغنج على أنفه المائل، نظر للطلاب الحاضرين شذراً، وتَمْتَمَ..، عشرة طلاب لم يحضروا اليوم.

- أغلق الدفتر بهدوء.

ومن شباك الصف المجاور للشارع سمعه المارة، يصرخ بالطلاب الحاضرين، لأن زملائهم غائبين.

البوصلة

وقفت في الطريق لا أنوي على شيء، ما عدت أعرف الإتجاهات ولا أين أنا أقف، حتى لم أعرف أني قد فقدت ذاكرتي، لقد فقدتها قرب كنيسة عليها ساعة ضخمة في أعلى برجها، كل ما كنت أعرفه أني غريب عن المكان، النهر من تحتي والكنيسة على جانبي، لا أعرف بأي لغة يجب أن أتكلم، ولا عن ماذا يجب أن أسأل!!

كنت تائهاً تماماً، باب الكنيسة كان مفتوحاً، وكالبوصلة عندما تفقد الاتجاهات شيء ما دفعني للداخل فدخلت إليها وجلست في أبعد زاوية فيها، لم أكن أدري ماذا يجب أن أفعل، راقبت أم وطفلها يشعلان شموعاً، لم تكلمني المرأة قط فقط نظرت في عيني مباشرة من بعيد وابتسمت، تقدمت لعلي أفهم شيئاً، أشعلت الأم شمعة جديدة وتمتمت بصوت مسموع طالبة أمنيتها:

– يا رب احفظ ابني وزوجي من كل شر.

بمساعدة والدته أشعل الطفل الصغير الذي كان يبلغ من العمر حوالي سبعة أعوام الشمعة، وتمتم بصوت مسموع أمنيته:

– يا رب أريد سيارة لمبرجيني.

قلدتهما وأشعلت شمعة، متمنياً أن أفهم ما يدور حولي، بدأت الأم بالصلاة والطفل يفعل ما تفعله أمه وأنا أقلدهما، فجأة انقشع الغيم الداكن في الخارج، النور بدأ يتسلل إلى النوافذ الملونة ويعكس الألوان الزاهية الجميلة في كل مكان، هدوءٌ وسكينةٌ اجتاحا كياني، رويداً.. رويداً.. أدركت أنها الكنيسة الملاصقة لبيتي وأن المرأة التي كانت تبتسم لي هي أم ابني المرأة الألمانية التي تحملت جنوني واكتئابي لسنوات عدة، وأني ملحدٌ لأبوين مسلمين.

الفارس الجواد

النحات جواد سليم

مؤشراً بإصبعه الصغيرة إلى أعلى حيث يستقر تمثال" الفارس الجواد"، وهكذا كان لقب التمثال، منادياً أمه:

– انظري أمي انظري إنه يبكي..، رفعت الأم عينيها ناظرةً إلى الأعلى حيث التمثال المنصوب..،" شئ ما يلمع في عينيه "قالت متمتمة بكلمات لا مبالية..، ثم سحبته من يده الصغيرة بقوة قائلة بصوت عالٍ:

– إمش.. إمش..، إنها الشمس تَلْمَع أعلى الصَنم.

مرَ رجل طاعن في السن محني الظهر، وبنصف التفاتة، شاخصاً بصره أعلى التمثال قال متمتماً في نفسه:

– أنا سعيد أنه هنالك من لايزال شامخاً لم تحن السنين ظهره مثلي.

طارَ عصفور صغير وحطَ على كتف تمثال الفارس الجواد..، ثم نظر إلى عينيه وقال:

– أتبكي؟!!

أجابه التمثال:

– أنا لا أتوقف عن البكاء.

– ولم تبكي؟!

قال العصفور الصغير مراقباً عيني الفارس متابعاً كلامه:

– انظر الى أشعة الشمس تضئ المكان..، المكان الذي يعجُ بالبشر.

أجابه تمثال الفارس الجواد والدمعة تترقرق في عينيه :

– تلك الشمس التي تتكلم عنها أنا لا أستطيع أن أراها لأني أعمى..، وهؤلاء الناس الذين ذكرتهم يزيدون وحدتي ووحشتي.

– ولم أنت أعمى سأل العصفور الفضولي؟!

– إن كثرة الدموع التي سكبتها على تلك المدينة المنكوبة، تسببت لي مع الزمن بالعمى أجاب تمثال الفارس الجواد.

حلَّ الصمت لدقائق ثم تابع تمثال الفارس الجواد*:

– أنا أعرفك أيها العصفور الصغير ربما كنت أعمى البصر لكني لست أعمى البصيرة، أنت ذلك العصفور من العش الذي بني منذ أشهر قليلة عند زاوية قدميَّ بناه أبويك طلباً للأمان، ها قد كبرت وصرت تُحَلِّق وحيداً.

فرح العصفور لأن الفارس قد تعرف عليه وقال:

– أجل أنا هو لقد اشتقت لمكان مولدي، جئت لكي أزورك، لكني حزنت لأنك فقدت بصرك.

– لا تحزن..، لا تحزن..، متمتماً.. لقد فقدت بصري منذ زمن بعيد.

هل لي بطلب منك أيها العصفور الصغير قال الفارس :

– هل يمكنك أن تكون عينيَّ اللتين أرى بهما.

– وما الذي تريد أن تراه أجابه العصفور الصغير.

– أريدك أن تنظر الى العراق من الأعلى وتعود لتخبرني بما رأيت.

طار العصفور حلَّق وحلَّق، طار فوق جوامع السنة والشيعة التي تصدح بإسم الواحد الأحد طار فوق الكنائس طار فوق الأقاليم طار طار، ثم عاد.

سأل التمثال:

– ما الأخبار؟!

أطرق العصفور رأسه الصغيرة قائلاً:

– لم يتغير شئ.

الصمت حلَّ سيداً للمكان لبضع دقائق..

ثم قطع تمثال الفارس الجواد الصمت وقال:

أريدك أن تطير وتحلق وترى اذا ما كان النصب الذي شيدته وأنا حيٌّ أرزق نصبُ الحرية مازال منصوباً هناك في المدينة.

طارَ العصفور حلقَ وحلقَ..

شاهد النُصب مازال هناك قائماً، لكن الخراب يحيطه.

عاد العصفور وحط على كتفِ الفارس، وقال بصوت أشبه بالهمس:

– شاهدت الإنقسامات، الدماء، والخراب..، لكن نصبك الذي نحته مازال صامداً هناك.

صمت تمثال الفارس قليلاً ثم خاطب العصفور الصغير:

– يا عصفوري الصغير أتذكر الآن مقطعاً من قصة تمثال مثلي اسمه" الأمير السعيد"، كنت قد قرأتها وأنا حيَّ، اسمع ماذا يقول المقطع عن لسان تمثال" الأمير السعيد "المقطع الذي لا يبرح ذاكرتي:

"عندما كنت حياً، وكان قلبي كقلوب البشر، لم أدرِ ما الدموع لأنني عشت في قصر اللا هموم، حيث لا يسمح للحزن بالدخول. ففي فترة النهار، لعبت مع أصدقائي في الحديقة، وفي الليل توليت الرقص في القاعة العظمى، وحول الحديقة امتد سور شامخ، ولكنني لم أسأل عما كان وراءه، فكل شيء جميل.

إن حاشيتي لقبوني بالأمير السعيد، فكنت مسرورا جدا، إن كان السرور هو السعادة.

هكذا عشت، وهكذا مت.

والآن، وإنني ميت، وضعوني مرتفعاًجداً لأتمكن من رؤية كل القبح، وكل التعاسة في مدينتي، وإن كان قلبي مصنوع من الرصاص، لكنني لا أملك سوى النحيب.*"

نظر العصفور الى عيني التمثال المليئة بالدموع وراقب دموعه تهطل كمطر غزير متخللة حنايا جسده متغلغلة في شروخ صغيرة حلَّت في جسد التمثال.

أحس الفارس بما يدور في خلد العصفور الصغير، وقال له أجل إن كثرة دموعي صدَّعت جسدي فهو سيتهاوى بعد حين..، كل دمعة مني حفرت اخدودا في هذا الجسد.

صوت عال قطع حديثهما حينها:

– هيا ابتعدوا ابتعدوا هذا التمثال سيزال الآن بالبلدوزر، هيا هيا أنجزو العمل بسرعة.

خَفَقَ قلب العصفور الصغير بقوة، لكن الفارس طمأنه قائلاً:

– لا تَحزن.. لا تَحزن..، حَلِّق بعيداً عني، حَلِّق بعيداً..، وسنلتقي يوماً.

صوت البلدوزر يقتلع التمثال بقسوة ويرميه أرضاً علا على كل الأصوات، هوى التمثال بسرعة قصوى، وهوى الفارس الجواد وفصل رأسه عن جسده..، تدحرج رأسه وتدحرج..، ثم توقف شاخصاً في العامة، العامة التي أقسمت بعد إزالة التمثال أنها رأت المعجزة، رأت الدموع تنهمر من عيني الصنم.

في تلك اللحظة، لحظة سقوط الفارس الجواد طار العصفور بعيداً..، حَلَّقَ.. وحَلَّقَ..، وصرختة المدوية هَزَت سماء بغداد.

***تمثال" الفارس الجواد "قصدت به تمثال النحات جواد سليم، الذي اقتلع من مكانه بلا احترام لتاريخ هذا الفنان وما قدمه من فكر وفن حر للعراق، حيث تم اقتلاعه بقسوة من مكانه فهوى وانفصل الرأس عن الجسد، والقصة أعلاه صرخة احتجاج على الجهل الذي يحيط عالمنا.**

***جواد سليم:**

نحات عراقي، هو جواد بن محمد سليم بن عبد القادر الخالدي (1921 – 1961) فنان ونحات عراقي، ويعتبر من أشهر النحاتين في تاريخ العراق الحديث ومن أشهر منحوتاته جدارية" نصب الحرية "وهي عبارة عن سجل مُصور صاغه الفنان جواد سليم عن طريق الرموز، أراد من خلالها سرد أحداث رافقت تاريخ العراق، مزج خلالها بين القدم والحداثة، حيث تخلل النصب الفنون والنقوش البابلية والآشورية والسومرية القديمة، إضافة الى الكثير من الموضوعات التي استلهمها من قلب العراق، ولعل أهم ما يجذب الشخص عندما يطالع النصب للوهلة الأولى هو الجندي الذي يكسر قضبان السجن الذي يتوسط النصب، لما فيه من قوة وإصرار ونقطة تحول تنقل قصة النصب من مرحلة الاضطراب والغضب والمعاناة إلى السلام والإزدهار.

"ويكيبيديا الموسوعة الحرة ."

***مقطع من قصة" الأمير الصغير "لأوسكار وايلد.**

***القصة مستوحاة من رائعة أوسكار وايلد" الأمير السعيد."**

القفص

حدق في عيني وحدقت في عينيه ناظراً إليَّ كأنه يرى حتى أصغر زاوية في أعماقي الحزينة، كان بيننا حائط زجاجي ضخم غير قابل للاختراق وضعت يدي على الطرف المقابل له فتلاشى الزجاج وتلامست أيدينا، جلس القرفصاء متأملاً المارة الذين تتباطأ خطواتهم عندما يمرون من أمامه، مذهولين من ضخامته وكثافة شعره الذي كان يغطي كل جسده، ليتوقفوا للحظات ثم يرمقونه بإبتسامة باهتة ويرحلون.

مقلداً" الغوريلا "في جلسته التي كان يجلسها أسندت ظهري للحائط الفاصل بيني وبينه شارداً وقد أخذتني الذاكرة لعمر الثامنة، عندما سُمِحَ لي ولأول مرة بزيارة والدي السجين السياسي، كان يفصل بيننا سُورَين ضَخمين من الشباك الحديدية السميكة يقف بينهما حارس ضخم مدجج بالأسلحة، وكان كلما خاطبت أبي استرق السمع لهمساتنا، كنت أحاول جاهداً مد أصابعي الصغيرة من خلال الأسلاك المربعة المتراصة علها تطول وتطول وتستطيع لمس يد والدي من الطرف الآخر للسياج الحديدي، لكن هيهات فخيالات الأطفال لا تتحقق على أرض الواقع، أما أصابع أبي فلم تستطع اختراق السياج ولو بملمتر واحد، لكن نظراتنا لم يستطع أحد وضع القيود عليها، تعانقنا بالنظرات حتى موعد انتهاء الزيارة ولم يصدر منا إلا كلمات قليلة أشبه بالهمسات.

عندما كنت أرجع من زياراتي له في سجنه كنت أنطوي في عوالمي الخاصة وأكتفي بنفسي مبتعداً عن كل الأطفال الآخرين وعن كل اهتماماتهم، وفي أحدى المرات القليلة التي إنضممت فيها لهم، جلسوا يتحدثون بفرح وحب عن كل تلك الحيوانات المحتجزة بحديقة الحيوان عن قوتها وضخامتها أو لطافة البعض منها، أنا لم أحبها أبداً فقد كرهت الأعمدة الحديدية التي تحتجزها وكانت تقتلني نظرة تلك الكائنات في عيني وكأنها تعرف قلب الطفل

فيَّ فتناجيه وتستصرخه ليخرجها من هذا السجن اللانهائي، لكن أقصى ما كان يمكنني فعله لها أن أغلق على قلبي المكسور وأصمت، لم أحب أيضاً أحواض السمك الجميلة ولا أقفاص العصافير، وكانت تقتلني معرفتي أني لو حررت تلك الكائنات فإنها ستموت لأنها تعودت الأسر.

حتى المهرجون" الجنود المجهولون "– كما كان يحلو لي لاحقاً أن أسميهم – والذين أحبهم كل الأطفال الذين كانوا في مثل سني، لم أحبهم ولم يضحكوني بل على العكس كنت أشفق عليهم من تلك الأقنعة الهزلية التي يغلفون فيها وجوههم لتدفن أحزانهم وتضحكنا، بالمختصر أعتقد أني لم أحب كل ما أحبه الأطفال الآخرون.

أنا الآن لا أحب هذا العالم أيضاً ربما أحب فيه شيئاً واحداً فقط، أني مازلت معلقاً كطفل بين أعمدة ذلك القفص الحديدي عيناي تحملقان بعيني ذلك الكائن الضخم، والدمعة في عيني وعينيه واحدة.

قطتي

أزين صباحاتي بقطتي الفضولية التي تموء جالسة على دفاتري القديمة الجديدة، قطتي التي تحدق في مقلتي وأحدق في مقلتيها لعل أحدانا يرف لها الجفن أولاً، قطتي التي تجلس على أغلب كتاباتي، قطتي التي أزيحها لأعود لتفاصيلي، قطتي التي ترفض أن أعود لوحدتي، قطتي التي تستمع معي بصبر كبير لأغنيتي المفضلة لليوم:

(بين الشوك وبين الورد أنا يلي حبيت عنجد..)*.

قطتي التي تقول لي بعينيها:

- اتركي هذا العالم الإفتراضي وتعالي لعالمي..

أنا بحبك.. عنجد!!

عنجد..

***أغنية للفنان الأردني" عزيز مرقة."**

أفق

كلما ضاقت الدنيا في عينيه وأغرق السواد قلبه، مارس علاجه النافع لحالات الغمة وعسر الحال بمتابعته لأحد الأفلام الهندية من القرن العشرين ففيها:

- الحق ينتصر دائماً.

-البطل يدافع عن حقوق المظلومين.

- الطيبون لهم مكانة مهمة في الحياة.

- أي شيء خارق للطبيعة ممكن أن يحدث حتى تظهر الحقيقة وينتصر العدل.

- النساء جميلات، بشعرهن الطويلِ المسدل بعفوية على أكتافهن..

- الشفاه.. الخدود، وباقي أجزاء الجسد خالية من السليكون والذي منه..

- الأغاني تتخلل الفيلم بسبب وبلا سبب، وكأنها جزء لا يتجزأ من الحياة بحلوها ومرها..

- البطل غالباً" أميتاب باتشان"، بكل مراحل حياته.

هذه المرة طالعه فيلم هندي من القرن الواحد والعشرين، أغلق جهاز الكمبيوتر بهدوء، ذهب إلى شرفته العالية، أشعل سيجارة، وشَرَدَ في الأفق الخط الفاصل بين السماء والأرض.

سطح الدار

سطح الدار مكان متوسط الحجم مليئاً بالغبار والشحار وأطلال الأطفال، كل شيء هنا يذكرك بأرواح مرت وتركت وراءها تلك الأشياء المتكسرة، هناك عند الزاوية البعيدة خزان ماء متآكل أكل الدهر عليه وشرب، وفي وسط المكان مدخنة مليئة بالشحار، بيت الحَمَام كان في الزاوية الأخرى للسطح، غالباً ما كان بيتاً لنا نحن الصغار فقد كنا نطرد الحَمَام ونقيم في ذلك البيت نأكل نشرب ونلعب رغم منع الكبار لنا من الاقتراب، لكن مقابل فتافيت الفرح تلك كنا نتحمل العقاب مهما كان كبيراً.

بعد سنين طويلة من الطفولة التي خلفت وراءها تلك السيوف الخشبية والرحى التي لا تعمل والأكواب المصنوعة من بقايا البلاستيك، دهشة تسيطر علي كيف كنا نفرح بأبسط الأشياء، وكيف كانت ضحكاتنا وصرخاتنا المرحة تملأ الدنيا بهجة وفرحاً؟

ستة أشقياء لم يتوقفوا عن الصخب، أنا وإخواني ثلاثاً وأولاد عمتي ثلاثاً، اللعب عندنا كان طقس عبادة طوال أيام الصيف والعطل الأسبوعية، خزان الماء البلاستيكي الأصفر الذي كان يومها شاباً مليئاً بالماء النظيف تحمل منا ما لا يطاق فقد كنا نركض بسرعة جنونية ونرمي بأنفسنا عليه فنرتد مقذوفين في الهواء محلقين من الفرحة وتحلق معنا ضحكاتنا الصغيرة، مشهد يثير الضحك في نفسي عندما يتخلل ذاكرتي الآن، لقد تحمل منا الكثير الكثير فأضْحِكنا برحابة صدر وقَبَلَ جباهنا الصغيرة وخدودنا المتوردة بحنان، حتى انفجر ذات يوم ورحل وبقيت ذكراه الجميلة.

عراكاتنا وتحدياتنا كانت تتجلى بصراع السيوف الخشبية التي تتكسر عادة بعد أول ضربتين، وكان الرابح يتوج ملكاً على الجميع، أما المداخن فقد كانت مراكز الإنتقام فعندما نتعارك ونتخاصم يقوم كل من الطرفين برمي الحجارة في مدخنة الآخر لتثور المدافيء وتمتلئ

المنازل بالشحار، وعندها نتقافز ما بين الضحك والبكاء هرباً من العقاب، ومن سطح دارنا لسطح دار الجيران تشتد الملاسنات بين الأطفال أحياناً، فتصعد الأمهات لتعتذر كل جارة للأخرى عما بدر من الشياطين الصغار.

في ذلك الزمان كم تمنيت أن أكبر وأكبر، أن تصل ساقاي الصغيرتان للأرض عندما أجلس على الكنبة كما النساء الجميلات، الآن بعد سنين طويلة من الشقاء أتمنى أن تنحسر ساقاي لأعود صغيرة ألعب على سطح الدار بقلب بريء، قلبي الذي تلوث مع الزمن بغبار المدينة وضجيج آلاتها فتحول السيف الخشبي لأداة قتل نقتل فيها بعضنا البعض بلا رحمة، وتحولت الرحى لمطاحن تطحننا على مر الوقت مكررة دورتنا اللامتناهية في الحياة.

رقصات

كانت ترقص حول تمثالها وكأنها تمارس رقصات طقوس إفريقية..، موسيقى قرع الطبول تجعلها راغبة أكثر بإخراج أشكال جديدة للحياة أشكال تدب فيها الرغبة..، الحب..، الولادة..، الحياة..،الموت.

يستمر قرع الطبول، يتحول لدقات قلب في حجرها الذي يبدأ بمبادلتها الشعور، يندمجا معاً بعشق..، أمل..، ثورة..، يصبح جسدها قطعة من تمثالها..، وتمثالها قطعة من روحها..، الروح التي ستبقى خالدة تذكر البشر بلحظات روحانية صافي مليئة بالخير والعطاء.

بيضة

النحات يرى أن أجمل المنحوتات هي البيضة..

الرسام يهتم بالإضاءة حول البيضة..

الكاتب يسرد قصة الكون من خلال البيضة..

العالم تدور أبحاثه حول جينات البيضة..

الشعب الفقير يجلس على البيضة..

رؤساء الدول الفقيرة ينتظرون تفقيس البيضة..

الدول العظمى تأكل الدجاجة المولودة والبيضة..

غربة

كان يمشي قاطعاً شوارع المدينة الألمانية شارعاً شارعاً مدندناً بصوته الجميل أغنية حزينة لمحمد منير كان جاره المصري يسمعها في" مهجع اللجوء "صباحاً:

"إيديا في جيوبي وقلبي طرب عايش في غربة بس مش مغترب ."

يمشي ويمشي محاولاً إيجاد أي تفصيل يعيده لتفاصيل دمشق لكن لا شيء يشبه دمشق لا الأماكن ولا الروائح ولا الناس، كل شيء متشابه في الغرب كصورةٍ جميلةٍ في إطار.

كان يقف في الشارع فاقداً ذاكرته مستغرباً المكان، الزمان، الناس، وحتى نفسه.

مشى ومشى حتى وصل للمكان الذي وجد فيه تقاطعاً صغيراً مشتركاً مع دمشق" ساحة الحمام"، أو هكذا كان يحلو له أن يسميها، حيث تجتمع الحمامات حول نافورة يتدفق منها ماء عذب يقترب يرمي فتات خبزه لها، فتجتمع عند قدميه مصدرةً هديلها الذي يطربهُ ويعيد ذاكرته إلى ساحة في دمشق كان يمشي فيها مخترقاً أسراب الحَمَام، فتحلق فاردةً أجنحتها بكافة الاتجاهات، فتتقمص روحه الأجنحة وتصبح حرةً رغم الحواجز التي كانت تحيط كل مكان.

محاولاً استرجاع إحساسه بالحرية اخترق أسراب الحَمَام المحيطة بالنافورة فطارت الحَمَامَات قليلاً وعادت لتحط قريبة من قدميه رافضة الابتعاد وكأن أجنحتها قد قيّدت، تابع المشي قاطعاً كلَ الإشارات الحمراء والخضراء فاقداً القدرة على الغِناء ومن أَعلى الجسر حَلَّقَ للأسفل.

قبلة

كانت الأم عند ظهور أي مشهد من مشاهد الحب البسيطة في التلفاز تقلب الدنيا ولا تقعدها..

- أغلقوا أعينكم..

- عيب..

- حرام..

- أغلقوا التلفاز..

- غيروا القناة..

يبدأ الصغار بالصراخ (خلصت.. خلصت)، يسألون إن انتهت القبلة طبعاً، ويخفون أعينهم بأيديهم الصغيرة التي لا تكاد تمنع الرؤية، وتتمتم الأم قائلة:

" -يا عيب الشوم يا بنت الحرام .."

فدوماً كانت الممثلة هي الملامة بالقبلة فكيف تسلم نفسها لرجل، وهكذا كانت القبلة من المحرمات فما بالك بأشياء أخرى، هكذا كبر الأطفال بمفهوم خاطئ للحب سواء المفهوم النفسي أو الجسدي ذلك الجيل لم يعرف أسرار المرأة والرجل إلا في سن متقدمة، وأذكر أني شخصياً عندما عرفتها أصبت بصدمة كبيرة وأول انطباع لي كان:

- كذب كذب مو هيك بيجوا الأولاد للحياة مو هيك، أهلي ناس أوادم ما بيعملوا هيك.

في العام الحالي عدت للمنزل بعد فترة انقطاع للدراسة، وفي أثناء جلستنا العائلية صدف أن ظهر مشهد من مشاهد الحب في التلفاز، وبلا شعور قفزنا في رحلة البحث عن أجهزة التلفاز التي تختفي في اللحظات الحرجة أو إذا ظهرت لا تعود تعمل، هدف الجميع في تلك

اللحظة تغيير القناة وإغلاق عيون الأخوة الأصغر سناً، متجاهلين أن الأخوة الصغار يعرفوا الخمير والفطير..

لم يدر الصغار وجوههم، بل على العكس جلسوا يثرثرون فيما بينهم ويتكركرون من الضحك!!

أنا وأختي المتزوجة ارتبكنا وخجلنا، ثم بدأنا اختراع أي حديث لإشغال الصغار عن المشهد.

أخي الكبير استخدم كل طاقته لتغيير القناة.

والدي بدأ سيمفونية الغضب العارم:

– يلعن أبوكن لأبو هالقنوات ما بتجيب غير القرف" مع هيك ركب دش..، وبعدين دجتل ."

عندها نظر أخي الصغير (7 سنوات) مستغرباً وقال:

– أي طولو بالكن..، كلها بوسة يا جماعة!!!

عصفور بشري

فتح كتاباً للقصص المصورة مشيراً بأنامله الصغيرة إلى أمير صغير يعتلي شجرة، ويجلس بين صغار طير تتهيأ لتناول الديدان من أمها.

قال بلغته الألمانية الممزوجة بالعربية المكسرة الغير واضحة:

– ماما.. ماما.. مشيراً للأمير الصغير" داس بن إش فارتت ماما" .."هذا أنا أنتظر ماما"، وأشار إلى العصفورة التي تحمل الدودة" داس إست ماما" .."هذه ماما."

أطعمت العصفورة عصفورها الصغير وطارت محلقة تبحث عن دودة أخرى لتطعم باقي الصغار، حلقت وحلقت فوق هذا العالم المرعب، هناك بعيداً حرائق تمتد في الأفق، سمعت من باقي الطيور أنها كانت غابة جميلة حتى وطأها البشر فتقاتلوا فيما بينهم وأحرقوها في خضم صراعاتهم، أشاحت بنظرها باحثة عن أفق جديد، واقتربت من الزاوية الأخرى..، الناس تركض مهرولة مرعوبة، إنهم البشر مرة أخرى حاقدون على بعضهم يفتحون فوهات البنادق بعشوائية لينتقموا من بعضهم، وهناك بعيداً حيث كان أهلهم يقطنون أحرقوا قمح بعضهم، أحرقوا كل الحقول لم يبقوا طعاماً لا لبشر ولا لطير، حارت بحالها أين تذهب والعصافير الصغيرة تتضور جوعاً.

أمطرت على حين غرة فاختبأت العصفورة تحت ظل شجرة، وبعد حين توقف المطر الغزير، قوس قزح كبير نشر ألوانه الزاهية من الزاوية البعيدة إلى الزاوية البعيدة الأخرى، لملم الأرض الدخان والنار، حلقت مرة أخرى بأجنحتها الكبيرة وبفرح طارت إلى أفق جديد أحضرت الكثير من الطعام لعصافيرها الصغيرة وحلقت عائدة إلى العش.

أحد عصافيرها كان طفلاً بشرياً، أطعمته بحنان مع باقي العصافير، متناسية أنه لا ينتمي إلى فصيلة الطيور.

أطعتمه وأطعتمه حتى كبر مع إخوته، ثم فرد أجنحته محلقاً في الكون الفسيح.

أغلق الصغير كتابه المصور وبيديه الصغيرتين مسح الدموع التي غزت وجه أمه وابتسم.

السجن

إن أكبر سجن هو أن يقنعك سجانك أن حريتك هي الخطيئة بذاتها، وأن تعيش محاولاً التمسك بقيودك أكثر وأكثر مضيفاً إليها قيوداً جديدة يوماً بعد يوم.

مع الوقت يصبح مفهوم الحرية هو السجن ومفهوم السجن هو الحرية، مواصلاً سعيك للخلاص محاولاً الخروج من الدوامة.

ومع الوقت ستمتلك دماغاً مغلقاً بأربعة جدران حديدية، عقلاً يحتاج لملايين العواصف المطرية ليعود للحياة من جديد.

آزاد

في حبسه الإنفرادي، وفي يومه الأول تاهت أحاسيسه هدوء قاتل سيطر على المكان، كان يقطع الزنزانة الصغيرة ذهاباً وإياباً بتوتر شديد، خائفاً تحاصره الآلام والذكريات، ففكرة بقائه كسجين سياسي في هذا المكان النتن لسنين طويلة غير محدودة الأجل، تكاد تقتلع روحه من مكانها، داهمته نوبة بكاء عنيفة تخللها صراخه، فَقَدَ بعدها رشده، وكأنه بالصراخ كان يناجي روح فتسمعه وتنجده من هذا المصير البائس.

كان هذا يومه الأول..

لكن كما كل شيء يبدأ صعباً، ثم تبدأ الروح بالألفة والتعود والإنسجام، ثم التمسك بالمصير المعتم لا بل الاستئناس به ورفض أي واقع آخر، هكذا قضى سبع من سنينه الأولى في السجن الانفرادي يمضي وقته باسترجاع الذكريات تارةً ثم تخيل لحظات جديدة لم تَحصل ينسقها.. ينمقها ويضيفها إلى ذاكرته الجديدة ليسترجعها في يوم ممل آخر، لم تكن الذكريات كنزه الوحيد لا أبدا بل كان لديه كنزاً آخراً أشد رهبة وروعة، شباك صغير، صغير بأسلاكه المتباعدة التي تسمح لقليل من نور الحياة والهواء النظيف بالتسلل، كان هذا كنزه العظيم، فمن خلاله يمكنه التحدث إلى الله معاتباً مترجياً وباكياً ناظراً مباشرة للأعلى هناك حيث الغيوم والشمس والأرواح التائهة.

نور خفيف كان يطل كل يوم من تلك النافذة المقزمة لكنه اليوم لم يدخل ليداعب صمت أحلامه فتح عينيه محملقاً في النافذة باستغراب ليدهشه ما شاهده، طائران جميلان يبنيان عش على حرف نافذته، بين الفرح والتعجب شعور الاستئناس طغى على روحه، هو شعور لم يشعره منذ سنين زائران جديدان وأرواح هائمة أخرى.

مرت الأيام روحه.. دموعه..، وكل جزء من كيانه كان يحس بالطائرين وكأنه تقمص جسد أحدهما، كانا يتبادلان الحب عند سطوع الشمس وعند غروبها، و مع الأيام زين البيض عشهما الصغير.

في صباح أحد الأيام بدأت فراخ صغيرة بالنقر على أغلفة البيض، تريد أن تخرج لهذا العالم ساكنة مستقرة على حرف نافذة، بين حدَّين حد من الفضاء اللامتناهي وغرفة صغيرة في سجن.

أصبحت حياته بعدها متعلقة بزقزقة الصغار وروحه بدأت تتآلف مع أرواحهم.

فرخ صغير من بين صغار الطيور تميز عن أخوته ببياض ناصع، كان أيضاً أكثر ألفة من الباقين لذلك استأثر في قلبه بحيز أكبر من إخوته، وبدأ يعامله معاملة خاصة فيصيح له منادياً بإسم أطلقه عليه: " آزاد*"

يناديه فيطير ليحط قريباً من فمه يقاسمه بعضاً من فتات خبزه ويمد له شفتيه لياخذ العصفور

من بينهما حصته من الطعام والماء.

مع الوقت طارت كل الطيور الصغيرة باحثةً عن مصيرها بعيداً عن الزنزانة الصغيرة، أما آزاد كان يفرد أجنحته الجميلة يحلق يغيب لساعات ثم يعود لمستقره الأبدي على كتف السجين.

كان يراقب الطائر عندما يفرد الأجنحة الناصعة البياض ويحلق كأنما روحه تحلق، يحس بشعور غامر من الحرية اللامتناهية، و يبقى أحياناً لساعات طويلة منتظراً" آزاد "حتى يراه عائداً فترد له الروح.

في أحد الأيام بدأ يذرع المكان ذهاباً وإياباً، متوتراً يمشي ثم ينظر للنافذة قلقاً لأن" آزاد "لم يعد.

أربعة أيام والطائر لم يعد، كان يجلس ليأكل حصته من قليل الفتات لكن لم يكن يستطيع ابتلاع اللقمة لأن آزاد لم يأخذ حصته منها، فكان يتوقف يترك الطعام ويعود لسريره ملتوياً على نفسه كجنين خائر القوى في رحم معتمٍ مغلق ثم يعود ليجلس ويبدأ بالنشيج، في اليوم الخامس كان يفكر بجنون فاقداً بقايا عقله، كيف سيتأقلم مرة أخرى ليعيش بدون روحه بدون الأمل وبدون الحب.

سقط مغشياً عليه كما في اليوم الأول الذي سجن فيه، فتح عينيه مستيقظاً في ظلامٍ دامس مقرراً أن يقطع عن نفسه الطعام ليموت جوعاً.

إن روحه قد تركته عندما فقد صديقه الوحيد، ولم يبق سوى هذا الجسد المهترىء فلا أسف عليه.

مرت أيام لم يَعدها بلا طعام أو شراب، حداداً على قلبه الذي فقده، وفجأة ظلال غطت النور الخافت على حرف النافذة، وعلت أصوات لأكثر من طائر، طائران بالتحديد، دخل أحدهما الزنزانة ووقف على كتفه، وقد كان خائر القوى مرمياً على الأرض.

لقد عاد.. لقد عاد..، قالها بصوت يكاد يختنق.

شعَّ الفرح مرة أخرى من عينيه، لكن الطائر فاجأه محلقاً قرب شباك الزنزانة مشيراً لرفيقته التي تصغره قليلاً بالحجم، ثم شرعا بدون تباطؤ ببناء عش جديد على حافة الكون، وفي أحد الأيام القريبة امتلأ العش بالبيوض الناصعة، لكنه رغم كل الفرح الذي أتى، كان يجاهد

متمسكاً بقراره لفناء جسده، كان يريد لروحه أن تتحرر من هذا القيد من هذا الجسد، لذلك أصر ألا يتناول الطعام حتى أنهكه التعب وأقترب من الموت.

وفي يومه الأخير، بدأت البيوض الصغيرة تفقس، فأغمض عينيه وبهدوء شديد سمح لروحه الجميلة بالخروج من جسده البالي، حلقت روحه على مسافة قريبة بالتحديد عند النافذة، ثم دخلت بهدوء في جسد فرخ يصارع للخروج من بيضته واستقرت بثبات هناك.

خلال أسابيع قليلة الطائر الناصع البياض، فرد أجنحته واقفاً على حرف النافذة الحد الفاصل بين الظلام والنور، وحَلَّقَ وحيداً نحو الشمس.

*** آزاد باللغة الكردية تعني:" الحر. "**

بلاد العم سام

خير الأمور التوسط لكن هذا ليس الحال عندما تتوسط بمجلسك البشر المختلفين عرقاً ودیناً في مكان واحد، على شط البحيرة جَلَسَت تتوسط عائلتين عائلة أمريكية وعائلة سورية تتحدث باللهجة الحلبية، كانت بينهما مجهولة الهوية، أولاً بسبب شكلها الذي لا يعطي أي انطباع لأي بلد تنتمي، وثانياً لإتقانها اللغتين العربية والإنكليزية، العائلة الأمريكية عن يمينها مؤلفة من أب وأم وأولادهما الثلاثة والعائلة السورية مؤلفة من أم وطفلين" صبي وفتاة"، كانت الأم السورية سمراء نحيلة القوام هادئة المعالم ترتدي حجاب ولباس طويل، وكان طفليها يلعبان بقربها عندما بدأت تجمع أغراضها متهيئة لمغادرة الشط، نادت ابنها وابنتها ليتركوا اللعب ويبدأوا بإرتداء ملابسهم، حينما بدأت الطفلة الصغيرة ذات السبعة أعوام بالبكاء، وألحت على مواصلة اللعب بالماء، أما الأم كانت مصرة على الذهاب لأن الوقت قد تأخر، وطريق العودة طويل، عندها بدأت الصغيرة البكاء بصوت عالٍ كأي طفل يتمسك بلحظات الفرح.

احتارت الأم فلا الطفلة هدأت بالكلام اللطيف ولا بإصرار الأم على المغادرة، على اليمين الرجل الأمريكي أبيض البشرة بشعره الأشقر متوسط الطول الشبيه بشعر ترامب سواء بالقَصَة أو شكل التسريحة، بدأ يتململ من بكاء الفتاة، واستدار حانقاً مخاطباً زوجته:

– انظري لهذا التخلف لا تعرف كيف تسكت ابنتها، لا أعرف لماذا هذه الكائنات تنجب الأطفال إذا كانوا لايعرفون كيفية تربيتهم.

أجابت الزوجة باستغراب :

– إنه تصرف عادي وطبيعي من طفلة في مثل سنها.

فرد بتهكم وضحكة مستهزئة:

– طفلة.. هه.. هذه طفلة هذه؟ عمرها ١٠ سنوات على أقل تقدير ولا تعرف كيف تتعامل معها.

أجابته بهدوء:

– إنها أصغر مما تقول أتوقعها بالسابعة أو الثامنة، وبكل الأحوال كثير من الأطفال يتصرفون بهذه الطريقة.

أجابها باستخفاف:

– لا أعرف من أين تأتينا هذه النماذج حتى كلامهم ولهجتهم مزعجة وغريبة.

كانت هي في الوسط بين العائلتين تفهم الحوار باللغتين وبالكاد أمسكت أعصابها حينما أتت طفلتها الصغيرة مسرعة خارجة من البحيرة مبللة بالماء تضحك بسرعة أخذتها في حضنها وأفرغت كلمتين في أذنها:

– اصمتي..، لا تتكلمي العربية أبداً الآن.

أنا في مدينة العجائب

ماذا لو شربت فنجان شاي في مدينة العجائب؟

ربما أصغر وأصغر، ثم أختفي من هذا العالم، وربما أكبر وأكبر فلا يعود هذا العالم العجائبي يتسع لي، وماذا لو ضاع الوقت؟ وتعددت الساعات؟ وبحثت عن نفسي ولم أجدها؟!

وماذا لو وقع همبتي دمبتي* عن حائطه وانكسر وكسر قلبي معه!!

أسيبقى لمدينتي العجائبية وجود!!

أحلامي قصور سقطت في قاع ساعة رملية وغرقت!!

هناك

بنيت منزلاً وأنجبت أطفالاً، وربما أحببت رجلاً.

وهنا

كان لي أرض وعرض..

الماضي ميت..

الحاضر ميت..

المستقبل ميت..

وأنا في تلافيف دماغي، أتجول بعد منتصف الليل.

*** همبتي دمبتي (بالإنجليزية: :(Humpty Dumpty**

من قصة" أليس في بلاد العجائب "رواية للأطفال مكتوبة من قبل عالم الرياضيات الإنجليزي تشارلز لوتويدج دودسون تحت اسمه المستعار" لويس كارول"، وهي شخصية خيالية على شكل بيضة تمشي على حائط لا متناهي متأرجحة خائفة من السقوط والكسر.

في المسلخ

في المسلخ* (الطاسة ضايعه) الداخل داخل والخارج خارج، الوضع مُزر كل شيء فوق بعضه والمكان أشبه بدهليز، فعند دخولك إلى المكان تبدأ الأدراج والجسور الصغيرة التي تبدو لك وكأنها لا تنتهي، في مديرية الصحة أعطوني ورقة طويلة عريضة بفحوص طبية مطلوب إجراؤها وذلك لاستكمال أوراق كنت قد تقدمت بها للإيفاد الخارجي، في البداية قلت لنفسي تمام والله التحاليل ضرورية فحص أذن وصدر.. إلخ، وفحوص نفسية شيء جميل!!

بدأت البحث عن أول طبيب، وبعد جهد ليس بالقليل وجدت غرفة قيل لي أنها لاجتماع الأطباء، وقالت لي ممرضة:

– حظك حلو الأطباء جميعاً مجتمعون للاستراحة تستطيعين جمع تواقيع الفحص الطبي كلها معاً.

بدأ الفحص الطبي مع دكتور الطب النفسي:

– هل تعانين من أي مرض نفسي؟

صدمت من طريقة السؤال، وقلت في نفسي:

– وهل هناك مواطن عربي لا يعاني من مرض نفسي؟

ولكني أجبته:

– لا أعاني من أي مرض نفسي.

– هل تعانين من دوار الطيران؟

"طبعا لم يسألني إنْ كنتُ سافرت أصلاً بالطائرة."

– لا أعوذ بالله، طبعا لا أعاني.

– هل تعانين من رهاب الأماكن المغلقة؟

– طبعاً لا أعاني، وإلا لم أكن في هذا المكان الفسيح!!

قلتُ مخاطبةً نفسي:

– وكيف لا أعاني من رعب هذا المكان الذي أغلق فيه كل شيء، إبتداءً من الفم!!

– طبعاً لا أعاني.

وبنظرة سريعة لوجهي قال الطبيب المسؤول عن الصحة النفسية وهو يخط توقيعه على الورقة:

– إنها لا تعاني من أي مرض نفسي!!

طبعا في الحقيقة كنت أعاني من اكتئاب، اكتئاب مزمن أيضاً.

هنا قلت في نفسي لا واللهِ ما هذا الفحص إلا مزحة!! ولكن على الأقل هذا الدكتور عمل ضميره وسأل أما الباقون حتى لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال!!

سليمة.. سليمة.. سليمة...، وخطت التواقيع على الورقة المطلوبة وحمدت ربي لأني بألف نعمة والحظ ساعدني لأحصلَ على تواقيعهم في يوم واحد وخلال اجتماع الأطباء، وإلا لكنتُ سأضطرُ للبحث عنهم واحداً.. واحداً، للحصول على تواقيعهم كل على حده، وهذه إحدى أبواب الفرج التي لا تصيب المرء إلا قليلاً في حياته.

وبقيَ في رأسي سؤالٌ يطرح نفسه:

– إذا كانت الفحوصات الطبية شكلية، لماذا إذن هي موجودة أصلاً؟!!

لا ينقص المواطن المسكين إلا مسلخكم ليشيب شعر رأسه!!

حملت أوراقي متابعةً رحلة العودة باحثةً عن دهليزٍ جديد أتابع فيه طريقي..

*** دُرِجَ في سوريا أن يقال عن المشفى مسلخ تشبها به من باب المجاز.**

حليمة

كانت الجدة حليمة* في الثالثة عشرة من عمرها، عندما ذهبت مع والدها في رحلة إلى قرية بعيدة تبعد مسافة ثلاثة أيام سيراً على الأقدام عن قريتها مسقط رأسها، بعد أيام عدة من السَفر حطت الرحال في القرية، وبدأت العمليات التجارية وتبادل البضائع لتنتهي الأمور كما كان والدها يتمنى، عدا طلب جاء مفاجئاً من الشيخ الكبير جد العائلة المضيفة فقد طلب يد حليمة لأحد أبنائه قائلاً لوالدها:

– هل تزوج حليمة يا أبو أحمد لواحد من أولادي، وأطلبها منك وأنتم عندنا في القرية أفضل من السفر الطويل وتعب الترحال نوفر الوقت والجهد.

أطرق والدها مفكراً ومرتبكاً ماذا يتمنى لإبنته أكثر من زوج من عائلة غنية وعشيرة معروفة وعيشة أفضل من عيشتها معهم في قريتهم الفقيرة؟

لكن الأصول أن يأتي أهل العريس لطلب العروس من أهلها في القرية، كيف سيعود إلى الديار بدون حليمة بالتأكيد ستجن أمها حزناً لكن الفقر الشديد والحياة الصعبة والرغبة بالتقرب من العشيرة القوية والغنية، لم تتركه يفكر أكثر بالعرض، وأجاب شيخ العشيرة:

"كما تأمر البنت بنتكم ."

نادى الشيخ على أولاده الثلاثة كان أكبرهم محمد في السادسة عشرة من عمره وأصغرهم أحمد لم يبلغ الرابعة عشرة بعد، وكان يلعب الدحل* مع أولاد الحارة عندما نادوه، فتركهم ملبياً نداء والده.

بدأ الأب بسؤال ابنه محمد:

– هل تتزوج حليمة يا محمد.

تردد محمد موحياً الرفض فقد كان عاشقاً لإحدى بنات الجيران.

تجاوزه الأب لإبنه الثاني محمود وقد أحس عدم رغبة ابنه الأول بالزواج فكانت استجابة محمود بإيماءة نفي سريعة، وكأن حليمة لا تعجبه.. ، أخيراً نظر الأب إلى أحمد آخر العنقود الذي كان عقله مازال معلقاً بلعبة الدحل.

- هل تتزوج حليمة يا أحمد؟

وبلا مبالاة وعدم فهم لما يجري ولأنه تعود أن لا يرفض طلباً لوالده، هذا غير رغبته بالخلاص سريعاً ليعود للعب مع الأولاد نَظَرَ نَظَرَةً خاطفة لحليمة الواقفة في الزاوية مطرقة الرأس وأجاب:

- أجل أتزوجها!!

بعد سنين طويلة، وكلما كان الجد أحمد والجدة حليمة يتعاركان وتحتدم المعركة بينهما عايرها قائلاً:

- أنت التي جئت لتتزوجيني، ولست أنا من أتى إليك.

عندها فقط كانت حليمة تصمت وتطرق رأسها مكسورة الخاطر لا تملك من أمرها شيئا وفي عينيها نظرة حزن وغربة تنهشان أعماقها.

تلك النظرة الحزينة في عيون الجدة لا تنسى، كانت دوماً تحكي قصتها بحرقة لأحفادها، وتذكر كيف تعلقت كطفلة بوالدها تريد السفر معه حالمة بالقصص التي كان يرويها العائدون المتنقلون بين القرى الصغيرة والمدن الكبيرة، معتقدة أنها شيء أشبه باللهو والأحلام ..، ثم كيف انقلب الفرح إلى زواج أشبه بالصفقة وبدل الفرح الطفولي، تنال زوجاً لا يعي معنى الزواج ولا مسؤولياته إلا رمية دحل، تتم الصفقة وكأن حليمة ككل حليمات البلد مجال للمقايضة البيع والشراء.

الأمر اليوم لا يختلف كثيراً عما مضى ولكنه أصبح بموافقة من حليمة، حليمة اليوم هي التي تضطر أن توافق على أحمد خوفاً من الفقر أو التعنيس.

ماذا أقول لك أيتها الجدة لست وحدك حليمة كل بنات البلد بشكل أو بآخر يضطررن لأن يكن حليمة..!!

***حليمة باللغة العربية:**

اسم مؤنث عربي، صفة مشبهه من الحلم وهو العقل والمعنى:

العاقلة، الصبورة، المتأنية، المتحملة.

***الدحل: لعبة الكرات الزجاجية.**

بلد القانون

لم يمنعه الحظر والبلوك على مواقع التواصل الاجتماعي خاصتها من استمراره في مطاردتها، كان آخرها محاولته مراسلتها على تطبيق التلجرام، فالمطارد اللجوج وبعد العديد من محاولات التعارف التي قوبلت بالرفض، أرسل صورة تعبر عما تريده نفسه الدنيئة كاتباً فوق الصورة 1000 يورو ، للحظة اهتزت مشاعرها أحست نفسها وقد سُلِعَت. نفضت بسرعة هذا الشعور المقيت، رفعت سماعة الهاتف واتصلت بأقرب معين قريب لها كان يعيش في مدينة بعيدة عنها لكن في نفس بلد الاغتراب الذي تعيشه، بكلام سريع ومختصر وبروح تطلب النجدة حدثته مختصر القصة والغصة ماتزال معلقة في حنجرتها.

رده أيضاً كان سريعاً ومختصراً..

– اذهبي للشرطة نحن في بلد القانون.

كانت تعلم في قرارة نفسها قبل أن تتصل به أن بلد القانون مختلف عن المكان الذي نشأت فيه وهنا تستطيع مباشرة الذهاب للشرطة وتقديم بلاغ إزعاج، لكنها أرادت سماع كلمة تشعرها بالأمان بمساندة إنسان قريب لها في بلد غريب وفي موقف مزعج ومحرج كهذا.

خيبة ما جعلتها تعدل عن فكرة طلب المساعدة من أي شخص تعرفه، بعد بحث قصير على الإنترنت حددت عنوان مركز الشرطة وهمت بركوب الحافلة لتفاجأ بصديق قديم تلتقيه صدفة عند موقف الباص.

بعد التحية والسلام سألها" وسيم "وهذا كان اسمه عما إذا كان هناك شيء يزعجها فقد لاحظ ارتباكها ومسحة الغضب على وجهها، بسرعة وسلاسة، وبدون تحفظها المعهود روت له ما حدث وأخرجت كل مافي جعبتها من غضب، أخبرته أخيراً أنها متوجهة إلى مركز الشرطة مباشرة، وبِحَّمِيَة أهل البلد ونخوتهم عاجلها قائلاً :

"هاتي رقمه لأمسح فيه الأرض، ويحرم يعيدها ."

أضاف أن الشرطة لن تستطيع أن تفعل لها شيئاً، وأنه سيتصرف معه على الطريقة التي يفهمها، لكنها رفضت بلطف بعد أن أشعرتها كلماته ببعض الأمان المفقود، وهدأت كلماته من غضبها وأصرت على متابعة الطريق، ودَّعها طالباً منها أن تتصل مباشرة لأي طارئ، مركز الشرطة كان عبارة عن بنائين ضخمين رماديين مثل كل شيء رمادي في هذا البلد، توجهت للمكان المقصود

فأدخلها شرطي لطيف على البوابة طالباً منها الإنتظار في صالة صغيرة لبعض الوقت، بعد انتظار ليس بالقليل دخل من الباب شرطي أشقر السحنة نحيل الجسد طويل القامة بنظرات باهتة، وطلب منها أن تتبعه إلى غرفة صغيرة فيها نافذة كبيرة كمبيوتر وكرسيان، جلست على أحدهما وبخجل وباختصار شرحت مشكلتها.

بعد أن سمع كل ما قالته، سألها ببرود وحسم الألمان المعروف:

– ألم تفكري بالبلوك.

وكأنه لم يسمع كل ما قالته سابقاً، فعادت وجاوبته:

– طبعاً هذا ما فعلته ولم ينفع.

– إذن غيري رقمك ألم تفكري بهذا الحل؟

– لا أستطيع أنا رسامة ورقم هاتفي يجب أن يتداول في صالات العرض لتسويق أعمالي، حتى لوغيرت رقمي يستطيع بسهولة الحصول على الرقم الجديد من أي صالة أعرض بها أعمالي ويكرر فعلته أريد تقديم بلاغ رسمي.

وكأنه لم يسمع ما قالته وكرر :

– غيري رقمك.

أجابته بحدة :

– لن أغير رقمي لست المذنبة، ويحق لي بالقانون أن أقدم بلاغاً ويتوقف عن مطاردتي رمقها بنصف نظرة من تحت نظارته كأنه يلومها، وأنها بتقديم شكوى تقترف ذنباً.

– حسناً..

سأكتب لك بلاغاً إذا ما تمت الموافقة عليه أقدمه للمحكمة" وهذا يأخذ عادة وقتاً طويلاً جداً بالاضافة للروتين"، و لا تتوقعي أن تُحل المشكلة فالشرطة غالباً لن تستطيع أن تفعل لك شيئاً، فالشخص المطارد يتصل من أرقام اشتراها بدون تحديد اسمه.

وكأنما كلماته الأخيرة كانت القشة التي هوت بالجبل المتماسك فكل الخيبات المتلاحقة و مشاعر الاغتراب قفزت فجأة إلى الذاكرة..، وتساءلت في نفسها:

– أتَركتُ بلد الغَاب والفوضى، لأحتمي وألجأ لبلد القانون فأسمع نفس الكلام بطريقة مختلفة؟!!

كان أول ما فعلته عندما خَرجت من البوابة الرئيسية لمركز الشرطة التوقف وطلب رقم" وسيم "على الهاتف" ليعامله بالطريقة التي يفهمها."

العبور

لا أريد أن أخبرك كم مرة أردت أن أرمي بنفسي أمام سكة مترو الأنفاق كنت أعدل عن الفكرة بآخر دقيقة لسبب لا أعلمه، ليس فقط مترو الأنفاق بل أيضاً القطار السريع وكل ما يمكن أن يمشي على عجلات.

جلست مرة على حافة جسر نهر لساعات أفكر بقذف نفسي في الماء لكنها ليست الطريقة التي تليق بي للموت.

برج برلين مكان مرتفع وذو هيبة زرته لأفكر كيف أقذف بنفسي من ذاك العلو، لكنه مكان مغلق لا يمكن للمرء أن يمارس فيه هواية الانتحار.

لماذا أعقد الأمور كل هذا التعقيد؟ قال لي أبي يوماً:

"لو صبر القاتل على المقتول كان مات لوحده ."

لكن الموت لم يأت وقد صبرت وصبرت حتى أصابني الملل، ربما لا يكون ما بعد الموت أجمل لا أدري!! لكن رغبتي في القفز فوق الخط الفاصل بين الحياة والموت يزداد يوماً بعد يوم ..، لاشيء عاد يغريني لا الحياة ولا الألوان ولا حتى الفن، عندما أكتشفت أن كل شيء مزيف وأنكم أنتم أيضاً جميعاً مزيفون، ما عاد شيء يغريني للبقاء في عالمكم.

ربما أنا أنتمي لمكان آخر، مكان بعيد تهيم فيه روحي بعيدة عن زيف عالمكم، لكن ما يحيرني هو الطريقة التي سأقفز فيها بين العالمين فبعض الطرق غير مضمونة النتائج!! في النهاية..

وجدت طريقة لأنهي هذه الفوضى فأغمضت عيني وبهدوء غفوت غفوة عميقة عميقة، وقفزت بين العالمين، كنت سعيداً جداً.. جداً..، حتى اللحظة التي فتحت بها عيني مرة

أخرى، لأجد نفسي أحاول التنفس بصعوبة من ثم أتلقى صفعة قوية على خلفيتي وأنا معلق بالمقلوب من قدمي، وشخص يهلل" بالصينية "فرحاً بالمولود الجديد:

– أهلاً بك على كوكب الأرض.

وحدة وطنية

مثلما تحبون راقصات الملاهي الليلية بدون دين، بدون طائفة، وبدون عشيرة ..، أحبوا بعضكم فإن الدنيا فانية، فلان من الطائفة الفلانية أو من العشيرة الفلانية.. فلان مرتد.. فلان كافر.

أي دين وأية أخلاق جعلتكم هكذا؟!!

على كلٍ.. راقصات الملاهي الليلية أشرف منكم..

على الأقل على خصرِ إحداهن تجتمع الوحدة الوطنية!!

القبطان

سيلفر* الذي بترت ساقه في حرب دخلها دفاعًا عن وطنه، الوطن الذي كان مستعدًا ليقدم روحه فداءً له، شاء القدر أن يأخذ جزءاً من جسده ويتركه يعاني باقي عمره متحديًا العجز والإعاقة، الوطن الذي أنكره بعد الحرب وتركه جائعاً معدماً عاطلاً عن العمل رافضاً تقديم المساعدة له ليتحول بعدها إلى قرصان.

تحلم الصغيرات بفارس شاب على حصان أبيض، أما هي فقد حلمت بقبطان مبتور الساق يمشي بكل عنفوان متكئًا على عكازه الخشبي، العكاز الذي كان سلاحه الوحيد في مواجهة الحياة والقدر، وبكل تناقضات القبطان الشرس القرصان والإنسان، كان ساحراً ورجلاً حقيقياً، رجل في زمن الكوليرا.

***لونغ جون سيلفر "John Silver" هو شخصية خيالية ورئيسية في رواية جزيرة الكنز للكاتب الاسكتلندي" روبرت لويس ستيفنسون"، ويعتبر مثالاً للقرصان النمطي.**

مكتب العمل

وجه أسمر باسم بأسنان بيضاء لامعة لشاب يقود باص نقل عمومي كانت هي الصورة التي وقعت عليها عيناه من بين إعلانات العمل العديدة التي كانت تغطي الجدار الخارجي ل" مكتب العمل"، وتحتَ صورة الشاب المبتسم كُتِبَ:

"أخيراً وَجَدْتُ العمل الذي أَحلمُ به."

على يمين الصورة صورة أخرى لشاب إفريقي بإبتسامة عريضة، يقف في موقع للبناء مرتدياً زي العمال الأصفر..، وعبارةٌ خُلبيةٌ كسابقتها كُتِبَت تَحت الصورة.

تتالت الوجوه الباسمة أمامه:

ممرض؛ دهان؛ بائع؛ سائق تكسي.

صوت ناداه بكنيته هير الأحمد:

– تفضل معي.

دخل إلى غرفة تحتوي طاولة وكمبيوتر وشباك كبير يطل على المدينة، موظفة قاسية الملامح بعينين زرقاوتين باردتين وشعر أشقر يتهدل على كتفيها.

– لدي خبر سار لك هير أحمد.

– بفضول أجابها :

– نعم تفضلي.

– لدينا عمل لك هنا.

– نعم.

" –دهان "إنها أقرب مهنة لك.

–أجابها والدهشة تعلو وجهه :

– دهان؟!!

– لكني درست الفن!!

– أنا رسام..، ومعي ماجستير في الفن!!

حدقت في عينيه بنظرة باردة منتظرة أن يكمل كلامه، فبدأ يشرح لها عن المعارض التي أقامها.. وعن أفكاره الملهمة..، وأهمية الفن في التوثيق، ثم شرح لها مطولاً عن مشاريعه الفنية التي كانت نتاج الحرب.

وبينما أراد متابعة شرحه، قاطعته بهدوء متوجهة نحو الطابعة على الطاولة المجاورة، طبعت بعض الأوراق، وأشارت بإصبعها النحيلة إلى عنوان مكتوب على ورقة هير أحمد:

– أذهب إلى هذا العنوان وابدأ العمل كدهان لتكسب لقمة عيشك لن ندفع لك وأنت مستريح في منزلك.

وتابعت محدقة في عينيه بنظرة ثلجية حادة قائلة:

– هير أحمد هذه أقرب مهنة لما درسته في بلدك، ارسم في أوقات فراغك، الفن هواية وليس عملاً!!

(Jopcenter) *ال"جوب سنتر "أو" مكتب العمل "في ألمانيا: هو المكتب المسؤول عن منح المساعدات لكل شخص عاطل عن العمل، ويعمل على تمويل العاطلين عن العمل بكافة الوسائل ليكونوا قادرين على تأمين احتياجاتهم بشكل كلي أو جزئي، وتساعدهم خلال هذا الوقت على إيجاد عمل مناسب يتناسب وقدراتهم.

تصريح شرف

العودة في قطار الأنفاق طويلة ومملة لكنه اعتاد قطع المسافات مراقبًا منتظرًا و مترقباً. طريق عودته هذه المرة كانت مملة كئيبة حاول فيها جاهدًا تناسي ما مر معه من أحداث فتارة يقلب في كتاب وتارة يراقب الوافدين الجدد محاولًا النسيان حتى أعادته كلمات سكير يقف في أقصى الزاوية إلى اللحظة التي خرج منها من صالة العرض .

ست سنين من الحرب الناس بدأت تمل الفعاليات المقامة على شرف الوطن لكنه كان مثابراً على حضور أي شيء يتعلق بالوطن ربما كنوع من العقاب الذاتي لعدم تواجده هناك أو كتكفير عن ذنب الغربة والبعد، ها أنا ذا معكم ! أحمل مآسيكم و أوجاعكم!

عندما وصل إلى صالة العرض الواسعة قلبت عيناه المكان هناك أعمال كثيرة كبيرة وصغيرة قطع من النحت لوحات فنية صور فوتغرافية كلها تتحدث عن عمق معاناة الشعب السوري وعن الثورة واللاجئين عن مدينة حمص وحلب وقد أضحت مدن متهالكة محطمة بقايا عرائس شرقية خضبت بالدم.

انقبض صدره زاد انقباضه وهو يراقب الألوان القاتمة التي تضرجت بها اللوحات الأحمر بدرجاته المتعدده البني الممزوج بالأرجواني والأسود لون الحداد.

الثورة مستمرة كلمة لصوت يعرفه طرقت أذنيه فالتفت ليجد أحد الفنانيين الجدد المقيمين في أروبا، وكانت له معرفة مسبقة به، يتحدث عن وضع البلاد المزري، وعن أعماله العظيمة.. وعن نفسه وفنه تحدث بغرور متحمساً..، وكيف أنه كان من أكبر داعمي الثورة، فقد تفجر عنده الإبداع من بداية الحرب، وبدأ الرسم مسانداً إخوته في الوطن معبراً عن أوجاعهم، ثم وضع غليونه الفارغ بين أسنانه وتابع:

– إن الثورة لتحتاج مخلصيها الأنقياء.

استدار وقد جحظت عيناه قليلا وأخذ يفكر، ألا يحتاج الفن إلى مخاض ثم ولادة أم أنه وليد اللحظة والحدث؟؟!!

هل الفن داعم للثورة أم أنه موثق لها؟ ليس يدري.

أسئلة طنت كالنحلة في تلافيف دماغه.

تابعت عيناه الدوران وأذناه تسترقان السمع، هناك في زاوية الصالة شاعر الفيس بوك المشهور يحتسي النبيذ، فكتاباته المنتشرة على صفحات مواقع التواصل التي تتحدث عن الحلم.. الثورة والوطن، هي التي حققت له إمكانية الحضور إلى الغرب لإلقاء المحاضرات والأمسيات الشعرية، تلقف المعجبون كتاباته بشغف كبير، وأمطروه إعجابات تفوق بعددها أنقياء الثورة المخلصين بأضعاف.

كان يراقبه وهو يتحدث حديثه المشذب المهذب والكل مسحور لم يدر أهم مسحورون بكلماته أم بشخصيته ونزقها الطبيعي تارةً والمفتعل تارةً أُخرى، كانوا يرمقونه بنظرات العبيد للإله كأن إلهاً جديداً للكلمة قد خلق.

عادت الأسئلة تطن" أيحتاج البلد لفنانيين وشعراء ليحثوا الهمم، ومن يقرأ لهم سوى أناس جالسين في بيوتهم يحتسون الشراب الساخن في برد الشتاء القارص، وهم يتصفحون النت؟! يصطدمون ببعض تلك الكتابات، وبعض صور اللاجئين تراك..لايك..يحيا الوطن..!!!

ألم عظيم اشتد في صدره ماالذي يفعل في هذا المكان؟ هل ترجى من كل هذا فائدة؟؟

حفلة كوكتيل على شرف فض بكرية الوطن!!!

استدار منتفضاً راغباً بالقليل من الأوكسجين النظيف.

شارداً بالوافدين والخارجين من عربة المترو اصطدمت عيناه بعيني ذلك الرجل السكير الذي كان يصرخ بكلام مفهوم تارةً ومغمغماً تارةً أخرى عن كونه كان ذا شأن كبير في البوسنة، ثم ترنح بعد رشفة طويلة من قنينته التي شارفت على الإنتهاء وصاح باكياً:

– لايقتل المرء إلا الحب والحرب .

صدمته عبارته الحكيمة ؟ رد عليه في قرارة نفسه:

– ولا يتفوه بالحقيقة إلا؛ الأطفال والسكارى*.

***مثل الماني.**

رغبة

موسيقى البيانو تَصدح مرافقة لصوت رقرقة الماء العذب، فتسحر نغماتها القلوب وتذيب كل الغمامات المحيطة بنا تعلو وتعلو ليسمعها كل البشر!!

تطير بنا تجعلنا أرواحا هائمة فقط أرواح تدرك أنه لا شيء يستحق أن نلوث صفاء نفوسنا به، نغمات ترتفع.. وترتفع.. نحو السماء لندرك أن الخير متأصل فينا، وتجعلني أشتاق لأن أندمج مع الطبيعة أن أتخلص من هذا القيد أن تذوب خلايا جسدي وتتحلل لتحس بكل شيء في الأرض والسماء، أريد أن أترك العنان للشيء الذي في داخلي أن يعيش حراً.

أريد أن أذوب في نبعة ماء، أن أكون موجة بحرية تلطمني الريح على الصخور فأشارك في نحتها مع الموجات الأخرى، أن أكون ربما غيمة..، مطرة..، شجرة..، ورقة..، بذرة..، أي شيء غير الإنسان..!!

النفق

ركب مترو الأنفاق خط ،7Uكانت وجهته محطة" الهيرمان بلاتس "المزدحمة، التي يقصدها غالبية القاطنين العرب لشراء حاجياتهم والمواد الخاصة بالطبخ العربي.

جلس في أقرب كرسي وقعت عليه عيناه وظهره بعكس اتجاه سير القطار، قبالته جلس شخص في الأربعينيات من العمر أسمر البشرة، حدق كل منهما في الآخر للحظات حتى قاطع نظراتهما رنين هاتفه المحمول.

أجاب بكلمات مختصرة ثم أغلق الخط.

عندها باغته الشخص المقابل بسؤال:

- سوري الأخ ما هيك.

- اي والله سوري.

- أهلا وسهلاً بك تشرفنا بحضرتك، أنا اسمي أبو محمد.

أجابه بابتسامة ودودة:

- أهلا أبو محمد أنا أيضاً أبو محمد لكني غير متزوج، على إسم الوالد ينادونني أبو محمد.

- أهلا والنعم والله.

- من وين من سوريا؟

- والله من حمص.

- والله!! أهلا وسهلا والله أنا كمان من حمص واليوم الأربعاء * يا محاسن الصدف، كيف هالأربعاء معك؟ ما في شي نكته جديدة؟

فقَصَ عليه نكته عن أهل حمص أضحكتهما حتى اغرورقت عيناهما بالدمع، تابع الشاب الأسمر طارحاً أسئلته:

- من حمص نفسها ولا من ريف حمص؟

- لا من حمص نفسها.

- من حمص الغربية ولا الشرقية.

- من حمص الشرقية.

- وين بالشرقية؟

- قريب من كنيسة العدوية.

- من وين يعني.. أي حارة؟

- النزهة.. النزهة..

أطبقت لحظات من الصمت قبل أن يسأله نفس السؤال:

-وأنت من أي منطقة من حمص؟

- أجابه متحاشياً النظر مباشرة لعينيه..

- من بابا عمر.

مدركين للشرخ العميق بينهما، واختلاف طائفتيهما وانتمائهما السياسي، أدار كل منهما رأسه للشباك المجاور صامتاً شارداً في عتمة النفق.*

***الأربعاء بالنسبة لأهالي مدينة حمص السورية هو أسعد أيام الأسبوع منذ القدم، وهو عيد أسبوعي ويدعى أيضاً بعيد المجانين.**

هي شائعة ملتصقة بأهلِ حمصَ منذ زمن بعيد وصلت إلى العالم كله، أن يوم الأربعاء مرتبطٌ بالفكاهة عند الحماصنة فيتبادلون فيه النكات والقصص المضحكة.

***عادة أحدثتها الحرب بأنه يمكن تمييز طائفة الشخص وانتمائه السياسي حسب منطقة سكنه.**

المؤلفة في سطور :

- خريجة كلية الفنون الجميلة بدمشق.

- دبلوم دراسات عليا من كلية الفنون الجميلة جامعة دمشق / 2002 .

- معيدة في كلية الفنون الجميلة جامعة دمشق .

- خريجة جامعة برلين للفن / UDK.

- حاصلة على الشهادة العليا للفن جامعة برلين للفن UDK /2009.

- لها العديد من المعارض الفردية والجماعية في دول العالم.

- لها مقتنيات في العديد من الدول و مقتنيات لأعمال نحت في متحف دمشق للفن الحديث.

- بعض الأعمال الميدانية:

عمل نحت ميداني في ألمانيا في مدينة هورب العمل من الخشب والبرونز اسم العمل /حمص مدينة في الجنة/من السمبوزيوم العالمي للنحت على الخشب.

العمل معروض في ساحة عامة من ساحات مدينة "هورب/Horb" الألمانية.

- عمل نحت رمل ٦ أمتار في العاصمة برلين في المهرجان العالمي للنحت على الرمل.

الكتب:

- **صدر لها كتاب بعنوان "الصمت" 2020.**

الجوائز :

- **الجائزة الثانية للنحت في معرض الشباب الثاني دمشق 2001.**
- **جائزه لجنة التحكيم ملتقى الفن والشعر في أمريكا /2016.**
- **جائزة الفن على مستوى العالم من أمريكا / 2019**

/ The American Art Award/قسم النحت/المرتبة السادسة.

التواصل :

/https://www.facebook.com/suzannelabboudsculptor

https://www.facebook.com/suzannelabboudsculptures

www.suzann-elabboud.com

suzanabboud@hotmail.com

الفهرس

المقدمة..... ٧
بس خلاص ١٢
ذهابا إلى إسكودار..... ١٧
الميلاد..... ٢١
الدرويش..... ٢٣
التفقد..... ٢٥
البوصلة..... ٢٨
الفارس الجواد..... ٣٠
القفص..... ٣٦
قطتي..... ٣٩
أفق..... ٤١
سطح الدار..... ٤٣
رقصات..... ٤٦
بيضة..... ٤٨
غربة..... ٥٠
قبلة..... ٥٢
عصفور بشري..... ٥٥

السجن.....٥٨
آزاد.....٦٠
بلاد العم سام.....٦٥
انا في مدينة العجائب.....٦٨
في المسلخ.....٧١
حليمة.....٧٥
بلد القانون.....٧٩
العبور.....٨٣
وحدة وطنية.....٨٦
القبطان.....٨٨
مكتب العمل.....٩٠
تصريح شرف.....٩٣
رغبة.....٩٧
النفق.....٩٩
المؤلفة في سطور.....١٠٣

للنشر والتوزيع